

الفكرة التصميمية والعناصر المكونة للحدائق الإسلامية

CONCEPT AND ELEMENTS OF ISLAMIC GARDENS

الحدائق في الحضارة الإسلامية هي نتاج سلسلة طويلة من تطوير مفاهيم متوارثة نتجت عن العادات والثقافة المجتمعية لشعوب المناطق منذ ما قبل الإسلام. فتم تلقف مبادئ تكوين الحدائق وتطويرها من قبل المسلمين حتى بلغت درجة كبيرة من الرقي والتطور جعل دراستها والاستفادة من خصائصها ذو أهمية إلى اليوم في فن تنسيق الحدائق.

1. أهمية الحدائق في الحضارة الإسلامية

موطن الحضارة الإسلامية هو شبه الجزيرة العربية ذات المناخ الصحراوي القاسي قليل الأمطار والنباتات، فليس مستغربا التقدير الكبير الذي يناله هذان العنصران أي المياه والنباتات من أهمية لدى شعوب المنطقة. فكانت بداية الحدائق الإسلامية عبارة عن بضع أشجار نخيل حول منبع للمياه أي واحة، ولكن النشوء الفعلي للحديقة الإسلامية مرتبط بوصول المسلمين إلى مناطق ازدهرت فيها الحضارات القديمة القائمة على الزراعة والري والتي عرفت الحدائق مثل بلاد الشام وبلاد فارس ومصر، فبدأ المسلمون بتلقف تقاليد حدائق الصيد والحدائق الملكية ومنحوها رؤية روحية جديدة.

الارتباط بين الطبيعة والإنسان ارتباط وجودي وبالتالي الحاجة إلى القرب من الطبيعة من الاحتياجات الأساسية للإنسان وقد بينا ذلك سابقا عبر توضيح الدور البيئي والصحي والاجتماعي الهام للحدائق.

إن ذكر الحدائق في القرآن الكريم يؤكد على أهميتها وأنها من نعم الخالق على الإنسان كما ورد في الآية 60 من سورة النمل: ﴿أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبأنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون﴾. وبالتالي وجود الحدائق لا يعتبر رفاهية ويتأكد ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفضل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف 32) وفي ذلك دعوة واضحة لإيجاد الحدائق والعناية بها باعتبارها تدخل في إطار الزينة والطيبات التي يجب الحفاظ عليها.

تتشترك الكتب السماوية بأنها تقدم وصفا لحديقة أو جنة كبداية للخلق بسرد قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وكمهابة للحياة أي الآخرة التي يوعد بها المؤمنون، فظهر مصطلح جنات عدن في كل من التوراة والإنجيل والقرآن.

إن وصف القرآن استمرار المسرات المؤقتة في الحياة الدنيا بشكل أبدي في إطار الجنة يأتي دوما ضمن إطار حدائقي وليس حضري، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ و ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (النبا 31-32) و ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ، مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ (الواقعة 27-33). هذه الصور القرآنية حية في أذهان الشعوب المسلمة ولدت لديها دافعا لمحاكاة هذا التصوير المثالي عند تصميم حدائقهم التي حاولوا جعلها حدائق مثالية كصورة مصغرة عن الفردوس والجنة على الأرض. ونرى ذلك في وصف Tom Turner للحدائق الإسلامية: "Making a perfect place, or paradise, became the aim of Islamic garden design".

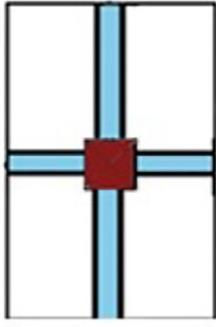
2. الفكرة التصميمية للحدائق الإسلامية

تصميم الحدائق الإسلامية يربط بين الرمزية الدينية لحدائق الجنة المذكورة في القرآن وبين الواقع المعاش للشعوب الإسلامية في مناطق ذات مناخ قاس أشبه بالصحراوي حيث يسيطر الجفاف وقلة المياه والنباتات، فالحديقة تشكل بذلك ملاذا يشعر فيه الإنسان وكأنه في الجنة، خاصة وأنها قادرة على مخاطبة جميع حواس الإنسان من حيث الاستمتاع البصري بجمال الطبيعة والصوتي بسماع أصوات الطيور والحيوانات وخرير المياه المتدفقة وحفيف أوراق الأشجار وما يمنحه كل ذلك من استرخاء، إضافة إلى الاستمتاع بالروائح الزكية للأزهار والثمار والأعشاب العطرية، ولا ننسى التذوق بشرب الماء وتناول الفاكهة والخضراوات المزروعة في الحديقة. أي أننا أمام تجربة حسية مميزة تجعل من التواجد في الحديقة تجربة ممتعة ومريحة في نفس الوقت.

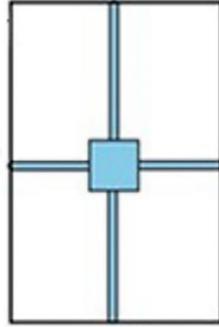
الفكرة التصميمية للحدائق الإسلامية تجمع بين مبدئين: الأول يعتمد على الهندسة في تشكيل الممرات وقنوات المياه وشكل المساحات والأحواض المخصصة للزراعة إضافة إلى السور الذي يمنح المكان شكلا هندسيا بسيطا، بينما يعتمد الثاني على الطبيعة بحيث يتم توزيع النباتات المختلفة من أشجار وشجيرات وأزهار بشكل عفوي دون ترتيب معين وكأنها جزء مقتطع من الطبيعة. أي أن الحدائق الإسلامية تجمع بين نقيضين الانتظام وال عفوية وهو ما يجعلها سهلة الاستيعاب والفهم يعطي الإحساس بالراحة وعدم التكلف.

تم اعتماد التصميم الرباعي "chahar bagh" في التخطيط الهندسي لكثير من الحدائق الإسلامية. تطور هذا المخطط المكون من أربعة أجزاء من النموذج الأولي الفارسي قبل الإسلام ومن جنات الفردوس التي يصفها القرآن الكريم والحديث الشريف. فالعدد أربعة يحمل رمزية مهمة ترتبط بالعالم الطبيعي، فهي تشمل الجهات الأربعة والعناصر الأربعة والفصول الأربعة وتعدتها عندما ذكر القرآن الأربعة في جنات الفردوس: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (محمد، 15).

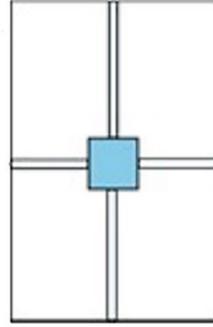
انعكس ذلك على تصميم الحدائق الإسلامية ولكن اختلفت التفاصيل والأبعاد بحسب مساحة الحديقة ومكانها وزمن نشوئها. ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال المنمنمات المغولية ورسومات لحدائق عثمانية إضافة إلى آثار الحدائق نفسها، التي لا يزال الكثير منها موجودا ويتم تجديده باستمرار.



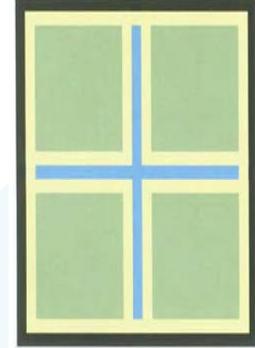
قنوات مياه وممرات متقاطعة
مع مبنى في المركز



قنوات مياه متقاطعة
مع بركة في المركز



ممرات متقاطعة
مع بركة في المركز



نموذج التصميم الرباعي

نماذج مختلفة لحدائق إسلامية ذات تصميم رباعي

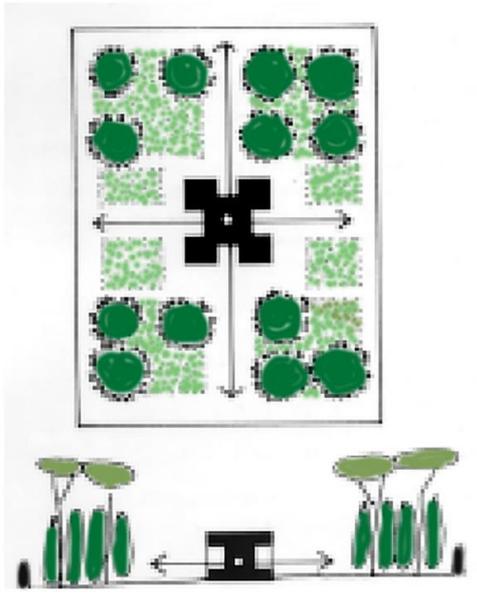
الحديقة ذات التصميم الرباعي تكون مربعة أو مستطيلة الشكل ومحاطة بسور خارجي. تقسم إلى أربعة أقسام متماثلة بواسطة محورين متعامدين هما عبارة عن قنوات مياه أو ممرات أو كليهما معا، تلتقي في مركز الحديقة ضمن بركة مياه أو نافورة ذات شكل هندسي. ويمكن أن يتوسط الحديقة بناء على شكل سرداق أو مقصورة Pavilion يفتح على الحديقة. وتتوزع حولها الأحواض النباتية المنتظمة. ويمكن أن يتكرر هذا التصميم عدة مرات ضمن الحديقة الواحدة على مستوى واحد أو بشكل متدرج على مصاطب. ومن الأمثلة الشهيرة على التصميم الرباعي حدائق الأضرحة في الهند وباكستان مثل حديقة تاج محل وحديقة ضريح همايون وجهانكبير في لاهور ولكن أيضا حدائق الأفنية مثل فناء الأسود في قصر الحمراء في غرناطة.

3. الأنواع الأساسية للحدائق الإسلامية من حيث العلاقات الفراغية

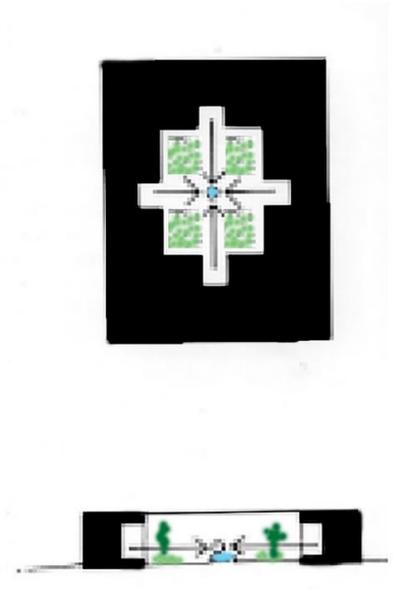
تعددت أنواع الحدائق الإسلامية من حيث الاستخدام أو الارتباط بنوع معين من الأبنية وهو ما سنراه لاحقا. أما من حيث العلاقات الفراغية بين المباني والمساحات الخضراء نجد أنها تقتصر على نموذجين أساسيين.

إن نشوء وامتداد الحضارة الإسلامية بشكل أساسي في مناطق ذات مناخ حار وجاف أدى إلى استمرار استخدام نموذج معماري متوارث في هذه المناطق منذ آلاف السنين يعتمد على المباني المغلقة نحو الخارج والمفتوحة نحو الداخل على فناء داخلي يؤمن الإنارة والتهوية ويحمي في نفس الوقت من العوامل المناخية القاسية فهو يخفف من تأثير الشمس

ويحمي من الرياح الصحراوية المحملة بالغبار. فمعظم المدن الإسلامية هي عبارة عن نسيج مترابط من المباني السكنية والخدمية والدينية التي تتميز جميعها بأنها تحيط بفناء داخلي أو صحن يفتح على السماء ويشكل في نفس الوقت رئة المبنى وحديقته. وبالتالي فالنموذج الأول من الحدائق الإسلامية هي حدائق الأفنية الداخلية. ولكن علاقة الإنسان المسلم مع الطبيعة تعدت ذلك وتنوعت باختلاف البلدان والمناطق فنجد أيضا الكثير من الحدائق الخارجية المحيطة بالمبنى سواء كان هذا المبنى ذو وظيفة أساسية أو مجرد مقصورة تؤمن مكانا مظلا ضمن الحديقة وهي تشكل النموذج الثاني من الحدائق الإسلامية.



حدائق خارجية محيطة بالمبنى



حدائق الأفنية الداخلية

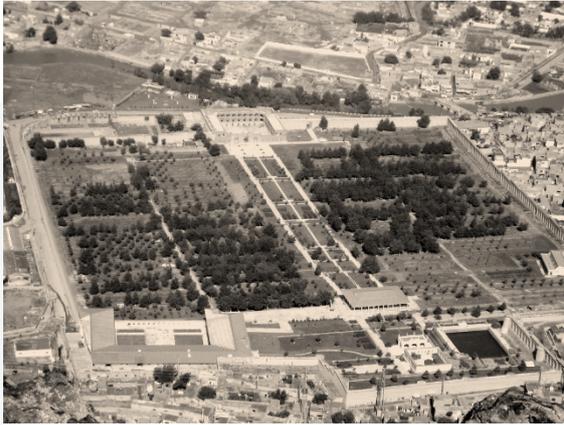
4. العناصر المكونة للحدائق الإسلامية

إن دراسة الحدائق الإسلامية على اختلاف أنواعها وأماكن وجودها وزمن إنشائها تظهر اشتراكها بعناصر تتكرر في معظم هذه الحدائق وتعتبر بذلك أساسا في تكوينها. فهي معزولة عن المحيط بسور أو تقع ضمن فناء داخلي وتعتمد على وجود المياه الجارية والممرات التي تتخلل المساحات المزروعة بالنباتات والأشجار إضافة إلى وجود عناصر معمارية تؤمن أماكن جلوس مظلة أو مكشوفة مع استخدام ملحوظ للسطوح المزخرفة في التشكيل.

سنقوم باستعراض كل من هذه العناصر بشكل منفرد وذلك لتوضيح وظيفتها وخصائصها، رغم أنه لا يمكن فصلها عن بعضها عند تصميم الحديقة فهي تتكامل مع بعضها وتتضافر وغالبا ما يكون ذلك وفق تخطيط هندسي منتظم يحقق العلاقة المنسجمة بين النباتات والماء والعمارة كما سيتضح لاحقا عبر الأمثلة.

1.4. السور

بينت الدراسة التاريخية أن وجود سور أو جدار فاصل محيط كان من ميزات الحدائق منذ نشوئها الأول، ولم يتغير ذلك في الحدائق الإسلامية، التي انتشرت بشكل أساسي في المناطق الحارة والجافة حيث تحجب الأسوار البيئة القاسية الواقعة خلفها.



كابول: باغ بابور – حديقة بابور



ماهان (قرمان): باغ شازده - حديقة الأمير

تحقق هذه الأسوار مجموعة من الأغراض المهمة في الحدائق الإسلامية:

- تحديد شكل الحديقة الخارجي وحدودها وغالبا ما يكون مستطيلا منتظما.
- فصل الحديقة عن المحيط الخارجي سواء كان طبيعيا أم عمرانيا.
- حد للملكية إذ يفصل بين ملكيات الأفراد.
- تأمين الحماية ومنع دخول المتطفلين إلى الحديقة (وكذلك الحيوانات).
- تحقيق الخصوصية وتشكيل فاصل رمزي بين من هم داخل الحديقة (الجنة) وخارجها.
- التكيف البيئي في المناطق ذات المناخ القاري الحار والجاف صيفا والبارد شتاء، فالأسوار تساعد على الوقاية من العواصف الرملية والرياح الباردة والقاسية وحرارة الشمس صيفا.

- تأمين بيئة داخلية خاصة microclimate مناسبة لنمو النباتات المختلفة.
 - تشكل الأسوار بسطحها الخارجي والداخلي ومواد بنائها (اللبن - الطين المدكوك - الحجر) وإكسائها جزءا من تشكيل المكان ويجب أن تكون معالجة بطريقة مدروسة لتحقيق الانسجام المطلوب.
 - أحيانا تستخدم أسوار داخلية ضمن الحديقة للفصل بين أجزاء الحديقة المختلفة، خاصة إذا كانت الحديقة مكونة من مصاطب (كما في شاليمار باغ في لاهور).
- كما يمكن اعتبار الفراغات المحيطة بالأفنية الداخلية وجدرانها المطلة على الفناء بمثابة نوع آخر من الأسوار فهي تقوم بنفس الوظائف المذكورة سابقا مع اختلاف الإحساس بالحديقة.

2.4. الممرات

الممرات أساسية في الحدائق الإسلامية، فهي تعتبر جزء لا يتجزأ من تصميم الحديقة ومن مخططها الهندسي وكثيرا ما تستخدم إلى جانب قنوات المياه أو بديلا عنها لتشكيل المحاور البصرية الهامة ضمن الحديقة.



قصر الجعفرية في سرقسطة (اسبانيا)



حديقة ضريح جهانكير في لاهور (باكستان)

ويمكن تلخيص دور الممرات في الحدائق الإسلامية بما يلي:

- تشكيل مسارات الحركة ضمن الحديقة (تدرجها الهرمي من حيث الأهمية).
- تشكيل محاور بصرية هامة إلى جانب القنوات المائية داخل الحديقة.
- تطبيق المخطط الهندسي المنتظم بواسطة الممرات المستقيمة والمتقاطعة بزوايا قائمة، فغالبا ما تكون الممرات بحد ذاتها فاصلا أو إطارا يحدد أشكال أحواض النباتات أو الأحواض المائية ضمن الحديقة.
- إمكانية التنزه دون التأثير على العناصر الطبيعية.
- اختيار لون وملامس المواد المشكلة للممرات لتجميل الحديقة ولتحقيق الانسجام مع المحيط.

كما يمكن أن تكون الحديقة واقعة على أرض مرتفعة وذات تضاريس فيتم تنظيمها على شكل مدرجات مما ينعكس أيضا على الممرات، التي تتحول في بعض المواضع إلى أدراج تؤكد بدورها على تدرج الحديقة، كما في حديقة شاليمار باغ في لاهور وحديقة قيصار كيارى التابعة لقلعة أمبر في الهند.

3.4. النباتات والأشجار

اهتم المسلمون بالزراعة ولعل أحاديث النبي (ص) التي تشجع على زراعة النباتات التي تؤكل واعتبارها صدقة مثل قوله: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" وقوله: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"، مما شجع المسلمين على إنشاء الحدائق التي تضم شتى أنواع النباتات.

النباتات على اختلاف أنواعها من أشجار وشجيرات وأزهار وأعشاب ومروج لعبت دورا في تشكيل الحديقة الإسلامية يمكن تفصيله بما يلي:

من حيث الدور المناخي والبيئي:

- النباتات وخاصة الأشجار الكبيرة والعرائش توفر الظلال والمتعة البصرية.
- النباتات تساعد على تلطيف الجو وخفض درجات الحرارة.
- النباتات تساهم في رفع الرطوبة النسبية عن طريق النتج.
- الأشجار تساعد على تنقية الهواء من الغبار.

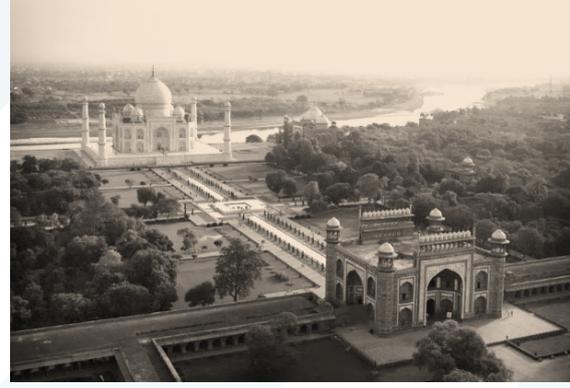
من حيث تكوين الحديقة:

- الأحواض والتشكيلات النباتية ذات أشكال هندسية منتظمة
- توزيع النباتات ضمن الأحواض غالبا عفوي بحيث يظهر كأنه طبيعي أو جزء مقتطع من الطبيعة
- يمكن أن تكون الأحواض غائرة أي تقع تحت مستوى الممرات مما يسهل الري وعدم تبخر المياه، وتعطي الانطباع بالمشي على سجادة نباتية، كما كان الحال في حدائق الأندلس مثل فناء الساقية في جنة العريف بغرناطة وكذلك في فناء الأسود في قصر الحمراء وغيرها.
- يمكن منح الأحواض النباتية والمسطحات الخضراء إطارا على شكل أسيجة نباتية صغيرة من البقس أو الغار أو أو الريحان أو السرو.

- قد تستخدم الأوص الفخارية في زراعة الأزهار والأشجار ويتم توزيعها بشكل ينسجم ويؤكد على المخطط العام للحديقة.
- كثيرا ما تتم زراعة الأشجار العالية مثل السرو للتأكيد على المحاور البصرية في الحديقة أي على طرفي قنوات المياه والممرات الرئيسية.



أسوار من نبات البقس في القسبة في ملاقة (إسبانيا)



حدائق ضريح تاج محل في أغرا (الهند)



أشجار عالية تؤكد على المحور الرئيس لحديقة الأمير في ماهان



الأوص النباتية على طول أحد ممرات حدائق قصر الحمراء في غرناطة (إسبانيا)

ومن حيث اختيار أنواع النباتات:

- تفضيل النباتات والأشجار دائمة الخضرة مثل النخيل والسرو والزيتون والبرتقال.
- استخدام النباتات المذكورة في القرآن مثل النخيل والعنب والتين والرمان والزيتون.
- تفضيل الأشجار المثمرة والأزهار ذات الروائح العطرية مثل الغار والريحان والورود والياسمين والغاردينيا وغيرها.
- اختيار نباتات ذات ألوان وأزهار مميزة في الفصول المختلفة.
- اختيار نباتات معرشة لإعطاء الظلال مثل الكرمة واللبلاب وغيرها.

4.4. العناصر المائية

يرمز الماء عند المسلمين إلى أصل الحياة واستمرارها لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾، كما أنه رمز للطهارة والصفاء.

ارتبطت المياه بالحدائق الإسلامية ارتباطاً حيويًا ناتجاً عن الحاجة إلى السقاية والري وارتباطاً رمزياً فهي تمثل أنهار الجنة المذكورة مرات كثيرة في القرآن الكريم: ﴿وجنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فالمسلمون لا يمكن أن يتصوروا الجنة دون مياه جارئة. وبالتالي أصبح الماء أهم عنصر في تشكيل الحدائق الإسلامية خاصة وأنه ذو أهمية كبيرة في تلطيف الجو في المناطق الحارة والجافة ورفع الرطوبة النسبية وبالتالي خفض درجات الحرارة في الحدائق. ونظراً لقلّة المياه تم استخدامها دون إسراف مع إمكانية إعادة استخدام مياه النوافير في الري.



البركة في حديقة شهل سوتون في أصفهان



قنوات مائية متدرجة في حديقة نشأت باغ في سريناغار (الهند)



شادور (سلسبيل) في حديقة شاليمار باغ في لاهور



نافورة تتوسط حديقة لا دراكسا في قصر الحمراء

تتنوع العناصر المائية في الحدائق الإسلامية وتختلف وظيفتها وتشكيلاتها ويمكن إجمالها بما يلي:

أ- قنوات المياه: عملية الري وتأمين المياه هما أصل استخدام قنوات المياه التي يغلب عليها الشكل الممتد المستقيم والزوايا القائمة منذ القدم. وتم اقتباس هذا الشكل في الحدائق ومنها الإسلامية على شكل قنوات تخترق الحدائق وفق محاور طولية وعرضية متقاطعة وتكون على شكل قناة ضيقة أو قناة عريضة تجري فيها المياه ببطء بفعل الميول الطبيعية. كما يمكن أن تكون متدرجة في حال تنظيم حديقة مكونة من مصاطب. وكثيرا ما يتم اعتماد التصميم الرباعي فتشكل قنوات المياه المحورين الأساسيين المتعامدين فيها.

ب- المسطحات المائية: تلعب المسطحات المائية دورا هاما في تلطيف درجات الحرارة صيفا من خلال رفع الرطوبة النسبية في المحيط ويزداد ذلك كلما زاد سطح التبادل مع الهواء الجاف المحيط. معظم البرك الكبيرة ذات أشكال مربعة أو مستطيلة تنسجم بموقعها في مركز الحديقة أو على أحد المحاور مع التخطيط الهندسي العام. وهي تساعد على إظهار العناصر الأخرى مثل المقصورات والسرادات خاصة إذا كانت البرك ساكنة فينعكس فيها المحيط المعماري والحدائقي.

ج- النوافير: تعد النوافير من العناصر المائية الأساسية في معظم الحدائق الإسلامية التي تسمح فيها التقنيات وضغط المياه بتوفير النوافير. فحركة الماء تساعد هي أيضا على زيادة سطح التبادل وبالتالي تزيد من تلطيف الجو وخفض درجات الحرارة بشكل ملحوظ إضافة إلى استخدامها للوضوء وللشرب وإلى دورها الحسي والجمالي سواء من حيث الصورة البصرية الممتعة أو صوت رقرقة المياه.

يمكن أن تكون النوافير جزءا من المسطحات المائية والبرك والقنوات وعندها تتوزع بشكل منتظم على جانبي المحور المائي أو وفق شبكة منتظمة (مديول). كما يمكن أن تكون نافورة رخامية أو حجرية ذات شكل مميز، غالبا ما تتوضع في مركز الحديقة عند تقاطع قنوات المياه أو ممرات الحركة. وتغلب على النوافير الأشكال الهندسية البسيطة فنجد نوافير دائرية أو مسدسة أو مثمثة أو على شكل نجمة ثمانية وكل منها يحمل رمزية معينة ويمكن أن تجمع بين شكلين لتحقيق هذه الرمزية. وكثيرا ما تكون الأشكال الدائرية ذات أطراف صدفية تساهم في انسياب المياه بشكل جمالي.

د- السلسيل أو الشادور: وهو عبارة عن سطح مائل مزخرف تسيل المياه من أعلاه إلى أسفله لتصب في قناة مائية أو بركة. وظيفته السلسيل وخاصة إذا كان ذو زخارف نافرة زيادة سطح التبادل بين الماء والهواء وتخفيض درجة الحرارة مع إعطاء صوت رقرقة مياه جميل، إضافة إلى إبراز الزخارف التي تلمع تحت الماء بشكل مميز. ولا ننسى القنوات المتدرجة والشلالات الكبيرة والصغيرة التي تحقق الأغراض نفسها.

ولا يتم استخدام العناصر المائية السابقة بشكل مستقل وإنما مجتمعة وغالبا ما تشكل مع بعضها البنية الأساسية للمخطط الهندسي للحديقة التي يتم توزيع العناصر الأخرى اعتمادا عليها.

5.4. المجالس المظللة والمكشوفة

كانت الحدائق الإسلامية بعناصرها المختلفة من نباتات ومياه وروائح زكية وأصوات شجية تمنح مستخدميها إحساسا بالهدوء والراحة والاسترخاء يمكن الشعور به عند التنزه في الحديقة ولكنهم كانوا يميلون إلى تمضية وقت طويل في الحدائق يتخللها فعاليات الاستقبال وتناول الطعام والاستماع إلى الموسيقى وغيرها. فكان لا بد من وجود أماكن مظلمة مخصصة لذلك ضمن الحديقة وهي عناصر معمارية مزودة بالأرائك والمجالس، غالبا ما كانت تقع قرب النباتات والمسطحات المائية للاستمتاع بها مع تلقي النسيم البارد الذي يهب فوق الماء.



سرادق في حديقة فان في قاشان (إيران)



الارتباط البصري المحوري بين المقصورات في حديقة شاليمار باغ في لاهور



مجلس مكشوف في حديقة شاليمار باغ في لاهور ويظهر على نفس المحور مجلس ومقصورتان



مقصورة مطلة على حديقة في قصر توب كابي في اسطنبول

اتخذت هذه المجالس أشكالاً وأبعاداً مختلفة، إذ يمكن أن تكون منشآت ثابتة مبنية من الحجر أو منشآت خشبية أو خيمية بسيطة. فهي تشمل ما يعرف بالسرادق أو المقصورة Pavilion أو الكشك Kiosk (باللغة الفارسية والتركية)، التي تفتح عبر أقواس على الحديقة من أكثر من جهة ويمكن أن تكون مبان أكبر مكونة من مجموعة من الفراغات يمكن استخدامها في الفصول المختلفة. وتتضمن أيضا فراغات مظلة للجلوس مثل الأواوين والأروقة التي تفتح على الحديقة، كما في سرادق حديقة فان في قاشان وحديقة شهل سوتون في أصفهان.

كما يمكن أن تكون مجالس بسيطة عبارة عن منصة جلوس محددة الجوانب مكشوفة وعادة ما توضع وسط المسطحات المائية والبرك فتبدو وكأنها تطفو على الماء وتسمح بالاستمتاع بالبرودة.

وهنا أيضا نجد ارتباطا وثيقا بين المخطط الهندسي الكلي للحديقة الذي يعتمد على المحاور والتقسيم الرباعي وبين الموقع الذي كان يتم اختياره لهذه العناصر المعمارية، فهي كثيرا ما تتوسط التشكيل عند تقاطع المحاور الرئيسية مثلها مثل البرك والنوافير. وهي تفتح بأقواس نحو الاتجاهات الأربعة للحديقة وبالتالي يمكن استخدامها في أوقات مختلفة من النهار حسب حركة الظل. وغالبا ما يتم توزيع المقصورات المختلفة بحيث تتكون فيما بينها محاور بصرية هي نفسها محاور الحديقة التي تم تشكيلها بالقنوات المائية والممرات. وينطبق ذلك أيضا على العناصر المختلفة التي تفتح على الأفنية الداخلية مثل الأواوين أو الأروقة وتستخدم كأماكن مظلة مطلة على الحديقة ضمن الفناء.

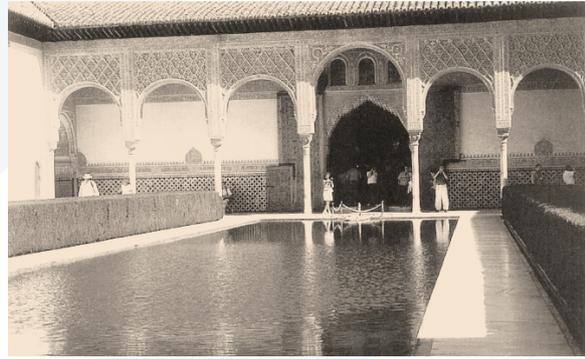
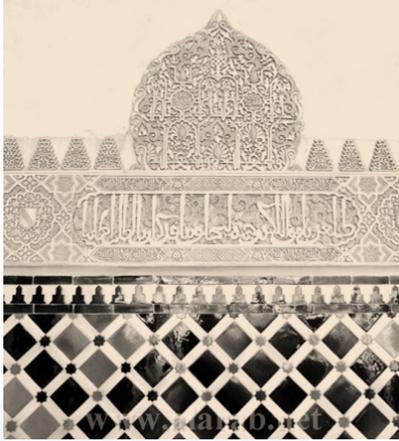
6.4. الزخارف (السطوح المزخرفة)

إن وجود العناصر المعمارية المختلفة كمكونات أساسية في الحدائق الإسلامية كالأسوار والبرك والنوافير والمقصورات والسرادقات والأكشاك إضافة إلى الممرات وهي جميعا تشكل سطوحا أفقية وشاقولية تحيط بالمسطحات الخضراء للحديقة، تطلب معالجة هذه السطوح بالطريقة المألوفة في العمارة والفن الإسلاميين، ألا وهو استخدام الزخارف المختلفة من نباتية وهندسية وأخرى تعتمد على الخط العربي.

ولم يأت هذا الاستخدام عشوائيا لا من حيث المواد والألوان المختارة ولا من حيث نوعية الزخارف، فالهدف هو دوما إلى تشكيل وحدة متكاملة بين عناصر المكان وهو هنا الحديقة.

ويمكن أن نرى ذلك في أمثلة كثيرة ابتداء من معالجة الأسوار وتقسيمها إلى مسافات محددة مكررة على شكل محاريب تنتهي بنفس الأقواس المفصصة المستخدمة في المقصورات في حديقة شاليمار باغ في لاهور. وكذلك في تفاصيل الزخارف النباتية في برك المياه الرخامية في جنة العريف في غرناطة أو الزخارف الهندسية في بحرات البيوت الدمشقية. إضافة إلى إكساء القسم السفلي من جدران الأروقة في أفنية القصور والبيوت في الأندلس والمغرب بزخارف هندسية من الزليج الملون تعد امتدادا مجردا للمساحات النباتية الخضراء، كما في فناء الريحان في قصر الحمراء بغرناطة. ولعل من

أكثر الأمثلة جمالا الزخارف النباتية من ورود وأزهار مكونة من حجارة شبه كريمة، التي تغطي الواجهات الخارجية لضريح تاج محل والتي تكمل الأزهار والنباتات المزروعة في حديقة الضريح الواسعة.



غرناطة - قصر الحمراء: فناء الريحان - زخارف هندسية من الزليج وزخارف الخط العربي من الجص



أغرا (الهند): ضريح تاج محل - تفصيل توضح الزخارف النباتية

خلاصة:

المكون الرئيس للحدائق الإسلامية هي المياه والظلال التي تشكلها النباتات المختلفة والعناصر المعمارية ونجد في تصميمها ربطا بين أساليب متناقضة في التصميم، فالمخطط الأساسي الذي يجمع كل العناصر هو مخطط هندسي بسيط وواضح يعتمد على المحاور والتناظر (تصميم رباعي) ويشكل الإطار للعناصر النباتية التي تتوزع بشكل عفوي ضمن الأحواض المختلفة. كل ذلك أعطى الحديقة الإسلامية تميزها فهي سهلة الإدراك لانتظامها وبعيدة عن التكلف والملل لطبيعتها.